اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة

التاريـــخ: 27-03-2009 رقم العـدد: 0 رقم الصفحة: 6 مسلسـل: 13 رقم القصاصة: 1

ملف صحفي

الاعتدال بين التنظير والممارسة

■ التطرف الفكري يحتاج إلى وعي مضاد مكثف يقف ضد هذه التيارات لا ليقصيها بل ليحتويها ويوجهها لتصل إلى القناعة لا إلى المداهنة

د. عبدالرحمن الهدلق

■ علينا أن نقف متحيزين من محاولة النعوت لشخصيات بعينها في هذا الجانب أو ذاك لعدم حضور معيارية دقيقة فيه عدا الرؤية التوفيقية

■ إن العمل على تحييد التطرف الفكري السلبي في السعودية لم يؤتِ ثماره بعد ويحتاج لإستراتيجيات تنفذ بأمانة

جميل أن نلمس الحراك الدائم حول تفعيل ثقافة الاعتدال. ومنهج الوسطية في بلادنا. وجميل أن نلحظ تزايد المهتمين به حقيقة ربما للشعور بالأزمة، حتى أننا نلحظ بعض المتطرفين من هنا وهناك اتبعوا الموجة، كي لا تفوتهم الكيكة المعنوية كما كانوا من قبل مع كيكة التطرف الفكري المختلف. ومشاركات مسؤول بقامة أمير منطقة مكة المكرمة قيادة هذا البلد في الطرح حول الاعتدال ومنهج الوسطية في مناسبات عدة، لهو أمر يدعو إلى الشعور بضرورة العمل على تعدد تفعيل هذا التوجه وتوسيعه والوقوف معه. كان آخر ما قام به صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المفكر المعتدل في هذا الجانب ما طرحه في لقائه بجامعة الملك عبدالعزيز حول تأصيل منهج الاعتدال السعودي، والرؤية التي انطلقت منها الدولة منذ تأسيسها وتطويرها ومواجهتها للفكر الذي يقف ضد التنمية من أي توجه كان.

وأحب أن أشارك الأمير الذي أسعدنا وخص جامعة الملك عبدالعزيز بلقائه، فالجامعات أولاً وأخيرًا هي المنبع الأساس لأي حراك فكري يتجذر في أي بلاد سواء كان متطرفًا أو معتدلاً، ومن هنا أرجو من الجامعات السعودية أن تكثف من طرح الاعتدال، وتعمل على تنفيذه بصورة فعلية وسليمة، خاصة فيما يخص قياداتها التربوية، والمناهج المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية والنظرية عمومًا، لأنها تعد البذر المنتج للتيارات الفكرية المختلفة، وهي موطن

اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة
التاريـــخ: 27-03-2009 رقم العـدد: 0 رقم الصفحة: 6 مسلسـل: 13 رقم القصاصة: 2

بوابة التطرف في بلادنا.

أحسب أن التطرف الفكري في مجتمعنا السعودي في جانبه اليميني أو اليساري أو التكفيري أو التغريبي يحتاج إلى وعي مضاد مكثف يقف ضد هذه التيارات لا ليقصيها، بل ليحتويها، ويوجهها لتصل إلى القناعة لا إلى المداهنة، وأن يعمل حقيقة على وقف المد المنتج لمثل هذه التيارات، وعلى التقليل منها ومن فعاليتها، والأهم من هذا كله هو محاولة وقف نموها، وعدم وضعها على قمم من الصفوف الأمامية المؤثرة.

وفي تصوري بأن أصحاب التيارات التكفيرية والتغريبية يجهلون جهلاً مركبًا مفهوم القيم الحضارية والفروقات الثقافية، مع إيماني أننا نقف متحيرين من محاولة النعوت لشخصيات بعينها في هذا الجانب أو ذاك، لعدم حضور معيارية دقيقة فيه، عدا الرؤية التوفيقية من وجهات النظر المختلفة، خاصة وأن هناك توظيفًا للإقصاء المقصود في نعت شخصيات بهذا التوجه أو ذاك. وليس الجانب التكفيري بحديث عهد على الفكر العربي أو الإسلامي، وليست ثقافتنا العربية أو الإسلامية متفردة فيه، ولكنها برزت غيرها في الوقت المعاصر لتوظيف الدين ونصوصه المختلفة. أو مواجهته والخروج عنه، وهذا يقودنا إلى مجموعة من الخلافات، ناسين أو متغافلين على أن التوافق في الرؤية الدينية في الفكر الإسلامي يتلاقى كثيرًا في الثوابت، وليس في غيرها. ولهذا خرج علينا هذا الاختلاف الكبير والتطرف الحاد، دون الشعور والإدراك بأن الأمة الإسلامية يفترض من طبيعة عملها وحراكها أن تكون ضمن دائرة الثوابت الدينية.

إن المشكل الحقيقي هو في السؤال لماذا يعد التطرف ممثلاً لنا في جوانب متعددة؟ ولماذا نلحظ المتطرفين أحيانًا في بعض الصفوف الأمامية ثم نطالب بعدم التطرف؟ إن الانحراف الملاحظ في الفكر السعودي ربما يعود حضوره لسببين رئيسين، أولهما هو دعمه الخارجي المنظم من جهات مختلفة، مع عدم الشعور الحقيقي به، والعمل المضاد غير الممنهج لهذا التوجه المنظم، والدليل هو اختراقه لإعلامنا وثقافتنا الذي يعكس عنا أحيانًا التغريب بوصفه تقدميًا، والتكفير على أنه وسطي في الرؤية. والسبب الثاني هو حضور الكثير من المتلونين على الساحة وبقوة مما يكفل حضور إنتاجهم المستقبلي، وتأثير رؤيتهم، ما يعني كفالة مواقعهم حتى على المستوى البعيد دون مصارحة، عن خلال العمل السري، ومثل هذا وارد لعدم وضوح الرؤية المبتغاة لتكوين النخبة، فيكون المسار تعدد الأوجه، والسير مع من غلب، وهكذا نلحظ آلية القرار قد تؤهل المتطرفين وأشباههم، كي يستميلوا من جهة ويضافوا من جهة أخرى، وذلك على حساب التوسط الفكري شبه المضمون. إن القناعات الفكرية من أصعب الأمور التي يمكن تغييرها، وقد تتطور بالتوعية والاحتضان، ومرور الزمن، وإذا لم يتم ذلك فسوف تظل على حالها حتى وقت اقتناص الفرص التي هي الظروف المساعدة للمتلونين في أن ينهضوا، ولهذا فإن معالجة ظاهرة التطرف الفكري مصل وقتي، ومن المهم العمل على ردم منابعه، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال آليات لتفعيل التنظير ليظهر في الممارسة، من خلال جميع مؤسسات المجتمع والتعليم منها بخاصة، وإذابة مفهوم الأحادية الفكرية.

إن العمل على تحييد التطرف الفكري السلبي في السعودية لم يؤت ثماره بعد، ويحتاج لإستراتيجيات تنفذ بأمانة، تعزز ما يقام حاليًا قبل أن نواجه ظروفًا أخرى تغير الوضع من حولنا. فالكثير من المتطرفين الآن يعملون في الخفاء، وتحت غطاء التقية، ومن الطبيعي أن تنتصر الدولة عندنا في المواجهة المسلحة، ما يجعل هذا الفكر يتوجه للعمل تحت الطاولة خاصة من المخططين له، والمواجهة ذاتها تحتاج إلى إدراك بأن العمل الفكري المتطرف لا يعمل منفردًا بوصفه منهجًا وتيارًا متحركًا في ذاته، كما أننا لا يمكن أن نحيد الإرهاب الفكري في جانبه الديني وحدنا دون مشاركة دول أخرى لديها من التطرف الفكري ما يزيد شعلته عندنا من مثل ما عند مصر، والباكستان، وإيران، والكويت، والعراق، والسودان، وهذا فيما يخص الجانب الديني الأكثر تنظيمًا دون منازعة، حيث دائرة المناصرة فيه لا تعرف الوطنية المحددة، بل لا تؤمن بها. أما الجانب التغريبي فلا خوف من شوكته، لأنه من الصعوبة بمكان أن يحل محل الثقافة المتأصلة بسهولة، فالاستعمار الغربي لم يفلح في ذلك حتى مع تغيير اللغة الثقافية كما حصل في الجزائر، والخوف منه لا يتساوى مع التخوف من التطرف في الجانب الديني، فالتغريب يختلف عن مفهوم المشاركة والتعاطي مع الغير ومنهم الغرب، وهذا فيه تفصيل واضح، فنحن قد نؤسس جامعات متخصصة لا

اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة

التاريـــخ: 27-03-2009 رقم العـدد: 0 رقم الصفحة: 6 مسلسـل: 13 رقم القصاصة: 3

تدرس علومها إلا بالإنجليزية. ولا يعني هذا توجهًا تغريبيًا في ذاته. أما ذاك الذي يؤطر معايير مختلفة تعمل للانجراف وراء الفكر التغريبي بأجندة خفية. فهو الرؤية التي يفترض أن نتفق على رفضها، أي أن المشاركة والتفاعل مع الغرب أمر شبه وارد، مع جانب الإيمان بحضارتنا وثوابتنا. وهذا ما قد يفهم من فحوى كلام سمو أمير منطقة مكة المكرمة عن هذا التيار المنعوت بالتغريبي، ومن يعمل تحت مظلته جهلاً أو قصدًا دعائيًا للتظليل على الناس، والتشدق بالتغريب الأعمى. وأغرب ما لحظته فيمن يمكن أن ينسب لمثل هذا اللون من المنتسبين لهذا الفكر عندما هو تلك المجموعة التي لا تعرف عن الغرب إلا بعيض الأشياء، وما ينقله الإعلام الغربي الهادف لغيره، والروايات الخيالية.. أو من تلك العقول التي لها أجندة سياسية لا تخفى على المطلعين في الجوانب الفكرية والدولية السياسية، ولضعف المصل المضاد، وبساطة الكثير في الجانب التصديقي للحظ الزحف نحو التغريب، للشعور بالنقص والمخالفة، كي تكسب النعوت المقدمة به، وبعض هؤلاء لم يسافر للغرب كما سافر رفاعة الطهطاوي إلى هناك، وخرج برؤيته المعتدلة، وهكذا، نصل إلى تطرف متفاوت مصدره الجهل غير البسيط، وبعد المعرفة الثقافية، والحضارية، والأجندة المخفية في الجوانب المتطرفة المختلفة.

إن آليات التحديث، ودفع عجلة الوسطية الحالية لا تبشر كثيرًا بالتفاؤل، لانصهار منهج التطرف في ثقافتنا، خاصة الديني منها في برامج مختلفة منها التعليم سواء التعليم العام أو الجامعي، والكثير من الأنشطة الفاعلة في المجتمع، وهذا يحتاج إلى إعادة تأهيل بعيدة الأمد. وهنا لابد أن نتساءل عن رؤيتنا الإستراتيجية التنفيذية وجدواها، ولماذا تغير الحال عندنا بعد رؤية تحديثية عالية إبان فترة الملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل خاصة؟ لماذا حضر ذلك التراجع الغريب العجيب بعد ذلك، والذي نعاني منه اليوم؟ وهل ما سوف نمر به الآن من سعي نحو الاعتدال والمنهج الوسطي سيقودنا لمواصلة التنمية المعتدلة مع التهديد بالتغير نحو التطرف مرة أخرى؟ نحن واقعيًا نحتاج إلى عمل منهجي، وإستراتيجيات سليمة بعيدة الأمد، دون أستبعاد افتراض أي تغير بطرأ وفقًا للظروف والمعطيات الخارجية والداخلية، بحيث لا تتأثر الإستراتيجيات والمصالح الأمنية الكبرى من السياقات المحيطة. إن أكثر الأمور أهمية، وهذا ما أركز عليه دائمًا، هو في آليات التنفيذ، ومن يقوم على تنفيذها؟ أن نحارب التطرف بشخصيات متطرفة فهذا لا يسمن ولا يغني من جوع، أن نحارب التطرف بشخصيات تتقاطع معه وتتلون رماديًا فلن ينتج هذا إلا مخرجات وقتية. نعم، ليس من حق أحد أن يقصي رغبات الغير. ولكن إن سبّب ذلك ضررًا علينا كأفراد ومجتمع ووطن وثقافة فيجب أن نحاول الوقوف ضد من يقوم بذلك إن استطعنا، كل حسب قدرته، فلا يمكن عقلاً أن نبني سورًا من جانب، ويأتي من يهدم آخر في جانب آخر.